مجلة فصل الخطاب Journal of Faslo el-khitab
ISSN:1071-2335/ E-ISSN:2602-5922/ Legal Deposit N°: 2012-1759
مجلد 14، عدد رقم: 01، مارس 2025، صص: 371- 385
تاريخ الاستلام(2024/05/02)تاريخ القبول (2024/09/28)تاريخ النشر (2025/03/30)

الاستشراق الفرنسي وتاريخ التراث العربي
ريجيس بلاشير أنموذجا

French Orientalism and the Arabic Literature History:Régis Blachère as a Model

كمال رايس
جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي – تبسة (الجزائر)، kamel.rais@univ-tebessa.dz

ملخص:

في هذه الورقة البحثية سنعرض لعلاقة الاستشراق الفرنسي بالتراث الأدبي العربي من منظور ثقافي تاريخي. عبر تحيين محطات تاريخية نرصد من خلالها مآلات الارتباط بين الاستشراق كمؤسسة وشكل من أشكال الخطاب الأكاديمي، وكأسلوب من التفكير المستند إلى التمييز الأنطولوجي والإبستيمولوجي بين الشرق والغرب؛ وبين التراث العربي باعتباره فضاء إجرائيا للبحث الاستشراقي. مبرزين أهم جهود المستشرق ريجيس بلاشير في مقاربته للتراث الأدبي العربي من خلال دراسته حول شعر المتنبي.

كلمات مفتاحية: الاستشراق الفرنسي؛ الخطاب، التراث العربي؛ ريجيس بلاشير

Summary:

This research paper will examine the relationship between French Orientalism and the Arabic literary heritage from a cultural and historical perspective. By revisiting historical milestones, we will trace the evolution of the connection between Orientalism as an institution and a form of academic discourse, and as a way of thinking based on ontological and epistemological distinctions between East and West, and the Arabic heritage as a procedural field for Orientalist research. The paper will highlight the significant contributions of the Orientalist Régis Blachère in his approach to Arabic literary heritage, particularly through his study of Al-Mutanabbi's poetry.

المؤلف المرسل: كمال رايس **الإيميل:**kamel.rais@univ-tebessa.dz

Keywords: Crisis literature; Rawya Yahyaoui; commitment; black decade; poetic experience; Algerian literature

1.مقدمة:

على سبيل التقديم، تاريخ الاستشراق الأوروبي:

لقاء الشرق والغرب قديم في التاريخ إذا ما تتبعنا السلم نزولا نحو الماضي فكثيرا ما عرف العالم القديم احتكاك الشرق والغرب على مستوى الإمبراطوريات، كما الحال للإمبراطورية الرومانية التي أخضعت مناطق عدة في الشرق الأوسط، وغرب آسيا، وشمال إفريقيا، وشكلت تلك الحقبة الرحم الذي تبلورت فيه هذه العلاقة التي قامت على الإخضاع والهيمنة والاستغلال، إلى غاية حلول القرن الثامن ميلادي – ق 08م- عندما بدأت دولة الإسلام في التشكل والتوسع وظهورها ككيان، أو كآخر في مقابل الغربي الإمبراطوري.

وتعد رسالة خير الأنام "محمد صلى الله عليه وسلم" إلى ملك الروم فاتحة لفت النظر إلى هذه العلاقة بين الدولة الجديدة والإمبراطورية، التي غالت في كبريائها وغطرستها ورفضت دعوة الرسول للإيمان؛ مما تمخض عنها **غزوة مؤتة**[1] الشهيرة، التي جعلت من **هرقل** عظيم الروم يطلب معارف حول الإسلام.

ومع تقهقر الروم واتساع دولة الخلافة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، زاد عدد المؤمنين الوافدين للإسلام الذين كانوا ينتمون لهوامش الإمبراطورية وتخومها، وهذا ما أدى برجال الدين المسيحيين إلى الدعوة لحماية المسيحية من خطر الإسلام الذي يتهددها وجوديا، وكانت أهم تلك الدعوات؛ الدعوة التي أطلقها القديس "يوحنا الدمشقي" - 660-749م- في عهد الدولة الأموية للابتعاد عن الخرافات التي يحملها هذا الدين وإعداده في ذات الصدد مؤلف خصصه لكيفية مجادلة المسلمين ودحض أفكارهم وأرائهم.[2]

وفي هذا الصدد؛ تجدر الإشارة إلى موقف بطرس المبجل Piérre le vénérable الذي اعتبر[3]: « الإسلام هرطقة مسيحية وهي آخر الهرطقات وأشدها ضررا،...يجب إعادة المسلمين إلى المسيحية الصحيحة، فعلى الأقل يستفيد العلماء المسيحيون من عملنا في مجال دعم إيمان المسيحيين السذج الذين يمكن أن تضير هذه الصغائر معتقداتهم»[4].

وقد تفاجأ رجال الكنيسة بقدرة هذا الدين على تهديد تعاليم المسيحية، لا سيما بعد سقوط بلاد إسبانيا – الأندلس- في أيدي المسلمين، وتحولها إلى حاضرة علمية

تستقطب إلى فلكها كل المؤمنين من بلاد أوروبا الراغبين في طلب العلوم والمعارف التي بلغها المسلمون والتي افتقر إليها الأوربيون بسبب تفشي الجهل وعوامل الانحطاط.

ولما تأكد للأوروبيين استحالة النصر عسكريا على الدولة الإسلامية، وبخاصة بعد سقوط القسطنطينية سنة 1453م، على يد السلطان "محمد الفاتح"، انكفأت أوروبا على ذاتها واعتبرت الآخر الإسلامي ذاتا مغايرة قوية لا يمكن حسم الصراع معها، وذهبت إلى خلق جو من الهدنة، والانفتاح أكثر على العلوم والمعارف التي ساهمت في سيطرة المسلمين على هذه الرقعة الواسعة من الأرض، والتي كانت في يوم من الأيام ملكا للإمبراطورية الرومانية.

لذا نعتبر موفى القرن الخامس عشر -ق 15 م- المفصل الثاني لتاريخ العلاقة بين الشرق الإسلامي وبين الغرب الأوربي المسيحي؛ الذي راح يعمل بجد في تفكيك البنى الدينية والميتافيزيقية التي سيطرت على الإنسان الأوروبي منذ العصور الوسطى، وجعلته رهينة الإقطاع، وحكم الكنيسة التي فشلت في حماية إرث الإمبراطورية الرومانية، كما فشلت في تحقيق نهضة الإنسان الأوروبي مما جعله يتوق إلى التنوير والتحرر من كل المعيقات التي عملت على تقهقره.فانفتح طالبا للعلم والمعرفة من عوالم الشرق المادية والإنسانية في الوقت الذي بدأت دولة الإسلام في التقهقر والانحطاط بفعل الفساد، والسياسات الخاطئة، وهذا ما أدى إلى بداية المفصل الثالث في تاريخ العلاقة بين أوروبا والشرق الإسلامي؛ مثلته الحركة الاستعمارية العنيفة في أواخر القرن الثامن عشر – ق18 م- وبدايات القرن التاسع عشر –ق 19-..

وتعد حملة "نابليونبونابرتNapoléon Bonaparte "على مصر النموذج الاستشراقي الكولونيالي المباشر للعلاقة بين الغرب والشرق العربي الإسلامي؛ حيث «زحفت جيوش نابليون على مصر وفيها الأديب والشاعر والطبيب والفيلسوف ورجل الصناعة والفن والاختراع؛ فاحتكت مصر بالأروبيين عن كثب.....وازداد احتكاك الشرق بالغرب في الكمية والكيفية واشتدت حركة البعثات»[5].

منذ حملة نابليون على مصر ازداد النشاط الاستشراقي، عبر تنويع المجالات وتسخير المؤسسات الأكاديمية التي عملت على فتح معاهد وأقسام خاصة لتدريس اللغات الشرقية

التي تعد المفتاح الأساس للولوج إلى عالم الشرق، ومن أمثلة تلك المؤسسات؛ مدرسة تعليم اللغات الشرقية التي أنشأتها الجمعية الثورية الفرنسية المعروفة بـnationale convention، التي خرجت أساتذة وباحثين ساهموا بقدر كبير في تدريس ثقافات الشرقيين وعلومهم، وكان لهم الفضل في تنشيط حركة التصنيف، وإخراج الكتب ونشر المخطوطات بالطباعة، وقد تزامن وذات الفترة، إنشاء جامعات كبرى في الشرق؛ كالجامعة الأمريكية ببيروت سنة 1866م، وجامعة القديس يوسف سنة 1874م، والجامعة المصرية بالقاهرة سنة 1906م.[6]

- المدرسة الفرنسية والتراث الأدبي العربي:

تعد المدرسة الفرنسية في ميدان الاستشراق من المدارس الأكثر انفتاحا على الجوانب المختلفة للشرق؛ بما فيها المجال الثقافي الحضاري، والمادي التاريخي، والسياسي الاقتصادي، غير أن اهتمامنا بمجال الأدب والاستشراق، يضعنا أمام ضرورة مقاربة المدرسة الفرنسية في حدود نظرتها إلى الأدب العربي، ومدى حضور تلك النظرة في مجال قراءة التراث والنصوص الأدبية.

يمثل الاستشراق الفرنسي ضرورة ملحة أفرزتها مرحلة عصر النهضة، قصد قراءة الشرق والإفادة من معارفه، إلى أقصى الحدود، ولذلك قامت الدولة الفرنسية بتدريس اللغة العربية في المعاهد الفرنسية وافتتح لها قسم خاص في جامعة السربون تحت مسمى "معهد الدراسات الإسلامية، مدرسة اللغات الشرقية".ومنذ الثورة الفرنسية سنة 1789 م ازداد الاهتمام بتراث الشرق الروحي والمادي؛ والذي دل عليه حضور المؤلف الشهير description de l'Egypte الذي يصف أحوال مصر وأخبارها، ألفه مجموعة باحثين رافقوا حملة نابليون على مصر سنة 1798، ومن أبرزهم المستشرق "سلفستر دو ساسي - و "رولو"و "جوبير".[2]

تعاظم الاهتمام بمجال الاستشراق، بعد اتساع رقعة الدول المحتلة من فرنسا، لاسيما في شمال إفريقيا، تونس والجزائر والمغرب، وقد ساعد ذلك انتشار المستشرقين للبحث في مخطوطات هذه الشعوب، التي كانت تحفظ حصرا في المساجد، والزوايا، وبعض المؤسسات الأخرى؛ فشكلت مؤسسة الاستشراق أقساما وأفواج بحث خاصة ضمت أسماء

لامعة «وقد تراوحت شخصيات المستشرقين بعد عصر التنوير الغربي من علماء الكتاب المسيحي المقدس وطلاب اللغات السامية، وطلاب الدراسات الإسلامية، إلى موظفي الحكومات الغربية المباشرين، ونتيجة لذلك تمكن الغرب من تجميع ثروة هائلة عن الشرق»[7].

تكونت عبر رحلات الاستشراق نحو الشرق العربي، خلفية معرفية، ساهمت في طرح أسئلة جوهرية وعميقة، تتعلق بهذا الآخر؛ الشرقي الذي ما فتئ يوصف بالبربري والهمجي فتحول فجأة إلى ذات مغايرة؛ تشكل شخصية مستقلة في تشكيلات الأمم والدول لا سيما بعد ظهور الرسالة المحمدية، وانتشار المعارف، ومجالات التقدم المادي؛ التي اتسم بها الشرق في مقابل الغرب، وبخاصة في المرحلة التي سبقت سقوط القسطنطينية سنة 1457م.

مرحلة؛ تساءل فيها الأوربيون –وعلى رأسهم الفرنسيون-: «ما أصل هذا الشعب؟ متى استوطن بلاده؟ كيف نشأت لغته وآدابه؟ ولماذا انطلق من جزيرته؟ كيف تحول وتخلص من بربريته وكيف كون لنفسه شخصية مستقلة؟ ما أسباب تقدمه؟ وتفوقه؟ ما قيمة آدابه وفلسفته؟بم تتميز تجربه البشرية؟هذه الأسئلة هي التي أدت إلى تكوين أسس مدرسة الاستشراق بوجه عام والمدرسة الفرنسية بوجه خاص»والحقيقة أن العلاقة بين الفرنسيين والشرق؛ ليست وليدة العصور المتأخرة بل تعود إلى حوالي القرن العاشر الميلادي إثر محاولة الإفرنج الانفتاح على العالم الإسلامي ومعارف الحضارات الشرقية وبخاصة في مجالي الفلسفة، والطب، والعلوم الطبيعية، ومن المستشرقين السباقين لكشف ومعرفة هذه المجاهيل؛ نذكر كلا من: "البابا سلفستر الثاني Silvestre II"، وهو من أشهر المترجمين الفرنسيين الذين عاشوا أوائل القرن 10، إضافة إلى هرمان Hermane(1054)، وقسطنطين الإفريقيConstantine [8].

حمل هؤلاء العلماء مشعل الانفتاح على الشرق، وتبعهم دارسون آخرون غيروا زاوية النظر إلى الآخر الشرقي، فالشرق العربي –عندهم-كان ثريا، وعبرت عن تألقه حاضرة الأندلس في أروبا أيام العصور الوسطى؛ حيث كانت منارة للعلم تستقطب الوافدين من الباحثين من كل الأقطار الأوروبية الأخرى؛ وقد شكلت مؤلفات "أبي بكر الرازي"، و"ابن

سينا"، و"ابن رشد"،...أول الأعمال المنقولة من الشرق الإسلامي إلى الغرب، وقد نشطت حركة الترجمة إلى اللاتينية ثم إلى الفرنسية بفعل إقبال الطلبة غير المسبوق للاشتغال في مجال الاستشراق؛ فتوزعوا في كامل البلاد العربية لطلب المعرفة والعلم.

غير أن بعض الباحثين؛ الفرنسيين يعزون تاريخ بداية الاستشراق الفرنسي إلى القرن الثاني عشر ميلادي ق 12م، يقول "رودي بارثR.Barth": "إن بداية الدراسات العربية

و الإسلامية ترجع إلى القرن الثاني عشر ميلادي إذ نجد فيه ترجمة القرآن الكريم إلى اللاتينية، عام 1123م بتوجيه من الأب" فيزابلVisable "، وفي هذا القرن أيضا؛ ألف أول قاموس لاتيني /عربي، كما أن بعض أحبار الروم قرروا دراسة اللغة العربية وآدابها في مدارسهم، منذ القرن الثالث عشر -ق13م -، وتعاظم الاهتمام بعد عام 1519م، منذ دعوة ملك فرنسا "فرانسيس الأولFrancis" الأستاذ "بوليس يوستينا Bolis-y" لتدريس اللغة العربية في عاصمة مملكته؛ وهذا ما زاد من إقبال الباحثين على تعلم اللغات الشرقية ومن ثمة الإطلاع على ما جادت به ثقافتهم من مخطوطات وكتب وغيرها.[9]

وتبقى أكبر حلقة لقاء في تاريخ الطرفين – باستثناء الحروب الصليبية- حملة "نابليون بونابرت" على مصر سنة 1798 حيث؛ « زحفت جيوش نابليون على مصر وفيها الأديب والشاعر والطبيب والفيلسوف ورجل الصناعة والفن والاختراع، فاحتكت مصر بالأوربيين عن كثب وقد ازداد احتكاك الشرق بالغرب في الكيفية واشتدت حركة البعثات ».[10]

أدت حملة "نابليون" على مصر، إلى تسريع وتيرة النشاط الاستشراقي، فولد ذلك الاهتمام حركة التصنيف وإنشاء الكتب وإحياء المخطوطات بالطباعة، وأنشأت الجامعات الكبرى.[11]

قام "نابليون في مصر باستغلال اللغة العربية خدمة لأغراضه التوسعية فلجأ إلى تكوين القناصل، والسفراء، والباحثين تكوينا خاصا باللغة العربية، وشجع ذلك وكون منهم مستشارين وسياسيين وجعلهم أهل مشورته.[12]

وبانفتاح "نابليون "على الشرق؛ تشكلت الروح الاستعمارية في القرن الثامن عشر بدءا بإخضاع الجزائر سنة 1830 م، ثم تونس 1881م، والمغرب والسنغال 1851م، وبينين 1894 م، وموريتانيا في 1903م، أما احتلال بلاد الشام (سوريا ولبنان) فقد تم مطلع القرن

العشرين ثم امتدت أذرع فرنسا الاستعمارية إلى قارة آسيا حيث ظهر الصراع جليا بينها وبين بريطانيا حول تقاسم مناطق النفوذ، وهذا ما أدى بالطرفين إلى توقيع اتفاقية "وثيقة برلين التاريخية "عام 1887 الذي يحدد مناطق النفوذ بين القوتين العظميين في القارة الأسيوية.[13]

بتقاسم مناطق النفوذ بين القوى الاستعمارية، شرعت فرنسا في بعث حركة واسعة متنوعة الأساليب، والطرائق؛ لإخضاع شعوب تلك المناطق، والسيطرة عليها، ومن التشكيلات التي أعدتها البعثات العلمية، البعثات الدينية، التي اختص بها جيل من المبشرين المسيحيين حملوا على عاتقهم فكرة نشر المسيحية للحد من انتشار الإسلام.بحجة حماية الأقليات المسيحية في الشرق، وتذكر المصادر أن فلسطين وحدها استقبلت سبعا وعشرين(27) جمعية تبشيرية من مختلف الجنسيات؛ عملت على نشر الدين المسيحي،.وانتشر المبشرون بكثافة حتى بلغ تعدادهم في سوريا ثلاث وسبعين ألف 73000 مبشر ومدرس في مؤسسات التربية وبعض دور الثقافة، دعم حضورهم انبثاق مؤسسة الدعاية سنة 1868م، وهي مؤسسة بابوية عملت على رسم المناهج الاستشراقية لخدمة أجدى للأهداف الثقافية والعلمية والسياسية لتوجهات الدولة الفرنسية الاستعمارية.[14]

أصبحت فرنسا بسيطرتها على الشرق العربي وشمال إفريقيا الدولة الكبرى في مجال الاستشراق حتى أنها عرفت موفى القرن السابع عشر والقرن العشرين بعاصمة الاستشراق؛ وهذا نظير البحوث والدراسات التي حققتها تجربتها في دراسة الآخر الشرقي؛ ففي سنة 1883م، بلغت المخطوطات في الرفوف الفرنسية أكثر من ألف وستمائة وثلاث وثمانين1683 مخطوطة وهي مادة ثرية دفعت بالقائد "لويس السادس عشر" إلى بعث مشروع قومي لترجمة هذه المخطوطات، وغيرها، والإفادة منها في الحياة الفرنسية بشكل عام، وفي مجالات الحياة كافة، وقد تضاعف هذا العدد بفعل حركة الاستعمار إلى أكثر من ثلاثة ألاف وخمسمائة مخطوط -3500-محفوظ بالمكتبة الوطنية بباريس bibliothèque nationale، ووصل العدد أواخر القرن التاسع عشر إلى أكثر من سبعة ألاف مخطوط 7000 مخطوط. صفت تصفيفا جيدا وحفظت بأحدث الوسائل العلمية.[15]

وقصد الإفادة من هذا التراث الضخم، قامت الدولة الفرنسية بإنشاء مدارس خاصة بالاستشراق؛ كان أبرزها "المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية سنة 1795 école

national de langues orientales vivantes التي عملت على تخريج القناصل والسفراء وأساتذة اللغات السامية الشرقية..كما تدعمت جامعة السربون -التي أنشأت سنة 1257- بمعهد الآداب institut de literatureومعهد الدراسات الإسلامية سنوات 1808 institutd'étudesislamiqueحيث زاد الاهتمام بتاريخ الفن الإسلامي والمغربي وتاريخ الشعوب الشرقية، ناهيك عن اللغات وعلم اللهجات وعلم المجتمع الإسلامي.[16]

ومنذ مطلع القرن التاسع عشر ق19، افتتحت جامعات أخرى وتدعمت بمعاهد نظير تخرج طلبة وأكاديميين كبار أسسوا جامعات عدة كجامعة ليون سنة 1808م، التي جعلت من أحد أقسامها خاصا بدراسة العلوم الدينية الملحق بجامعة السربون، ويبحث هذا القسم في دراسات حول الإسلام وأديان شبه الجزيرة العربية وفقه اللغات السامية.

كما افتتحت المدرسة العلمية للدراسات العليا écolescientifique d'études supérieurسنة 1868م التي اختصت بالدراسات الإسلامية والتراثية. تلتها جامعة ستراسبورغ 1872 م Strasbourg[17] حيث خصص منصب أستاذ كرسي لدراسة تاريخ الشرق والمعهد الكاثوليكي institutcatholique de Parisالذي دعم أقسامه بتدريس اللغة العربية والسريانية والقبطية والحق القانوني الشرقي.[18]

وبمقابل هذه المعاهد الموجودة في فرنسا، افتتحت السلطات الاستعمارية في البلدان التي تحتلها عدة جامعات ومعاهد نذكر منها:

معهد مصر 1798م.institut d'Egypt والمعهد الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة 1880 م institutfrançaisd'archéologie oriental au Caire سنة 1880م وكلية بورجاد Bourgad1841م بتونس، التي تحولت فيما بعد إلى كلية الآداب سمة 1937م، مدرسة الآداب العالية بالجزائر العاصمة 1881م، التي تحولت إلىجامعة الجزائر سنة1909 م، ومعهد الدراسات المغربية بالرباط سنة 1931م، وقد عنيت هذه المؤسسات بتعليم اللغة العربية وعلم الآثار والتاريخ الإسلامي.

أخرجت المدرسة الفرنسية للاستشراق عددا هاما من الدوريات والمجلات ذات الصلة حيث كانت تجمع فيها زبدة الدراسات المتخصصة حول ثقافة الشرق ومعارفه، نذكر منها:

-**صحيفة العلماء** le journal des savantsبباريس 1665 تصدر عن جمعية العلماء الفرنسيين كل ثلاثة أشهر.

-**المجلة الأسيوية**journal Asiatiqueتصدر عن الجمعية الأسيوية بباريس تهتم بالتاريخ والجغرافيا والسياسة وهي ذات إخراج موسوعي بلغت مئات المجلدات الضخمة من أشهر رؤساء تحريرها De Sasse.

-**المجلة الإفريقية:** Revue Africaineتصدر بالجزائر اختصت بالمستعمرات الإفريقية تصدرها الجمعية التاريخية الجزائرية. بالجزائر.

-**مجلة الدراسات الإسلامية** 1929 Revue d'études Islamiqueكان يرعاها المستشرق "لويس ماسينيون"وتهتم بالتراث الإسلامي[19]، تصدر بدمشق بشكل دوري.

هذه عينة وجيزة عن وسائل الاستشراق التي وضعتها المؤسسة الفرنسية في مسيرتها التاريخية التي مثلت قناة عبور ثقافي معرفي يستهدف الوصول إلى فهم كنه العالم الشرقي الإسلامي –على وجه الخصوص- وكيفية الوصول إلى فهمه ومن ثمة استيعابه والسيطرة عليه فكريا، وثقافيا، بعدماتم استيعابهم عسكريا؛ عبر تثبيت دعائم الاحتلال.

من خلال العناصر الخاصة بوسائل الاستشراق ووسائطه، تبدو قيمة وأهمية الفرد الفرنسي المثقف الذي آلى على نفسه المضي قدما لفهم الآخرين واستيعابهم والسيطرة عليهم في مشروع كوني أداته الظاهرة الاستعمار الفكري وباطنه نشر الفرنكفونية ومن هؤلاء المستشرقين نذكر حسب التسلسل التاريخي بعض الشخصيات التي كان لها الباع الأكبر في تشكيل مجال الاستشراق.

نبدأ مع "سلفستر الثاني silvestre II" مؤسس "ريمس Reims"، أوائل القرن الحادي عشر وهو عميد المستشرقين، والباحث "جربر دي اورلياكGerbert Auriallc " الذي اهتم بدراسة اللغة العربية ونبغ في علم الكلام والفلسفة وعلومها، وبالتالي فإن ظهور هذه مفكرين من هذا النوع، يجعل من المدرسة الفرنسية للاستشراق السباقة تاريخيا في إنشاء هذا المبحث العلمي، والى جانب هذه المدرسة يبرز أهم حدث في الفكر الاستشراقي وهو قيام الراهب بطرس المبجل Pierre le vénérable 1092 -1156م، بترجمة القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية حيث أتمت سنة 1143م وهي ترجمة غير بريئة؛ إذ غالبا ما كان الراهب يعتقد أن القرآن أو الإسلام يشكل خطرا على معتقدات المسيحيين.

أما الشخصية المؤثرة الأخرى في الفرنسيين فهي شخصية أنطوان غالون Antoine G. الذي ترجم قصص ألف ليلة وليلة بين سنتي 1704-1708م، وقد أثرت تلك الترجمة أيما تأثير على فكر الأوربيين، في رسم صورة متخيلة حول الشرق، وسعا الأدباء إلى محاكاتها والنسج على منوالها سواء في جنس القصة أو الرواية، أو جنس المسرح، وعدها الأوربيون العمل الأصدق على حقيقة الشرقي من حيث عاداته وتقاليده وثقافته.[20]

كما تجدر الإشارة إلريجيس بلاشير **Régis Blachere** من أشهر المستشرقين

الذين درسوا الشعر العربي القديم وقد قدم قراءة نقدية هامة لشعر أبي الطيب المتنبي بين من خلالها ضآلة الدراسات السابقة التي تتكئ على مسائل البلاغة متجاوزا إياها إلى البحث السيكولوجي العميق لذات الشاعر وكونه الخاص، إذ قدّم "بلاشير " رؤية عميقة ، جديدة، تُبرز العلاقة بين الذات والمتنبي على مستوى الروح والفكر. كما تجلى تحليله السيكولوجي في فهم الصراعات الداخلية التي خاضها المتنبي في حياته. واعتبر بلاشيرأن شعر المتنبي هو أكثر من مجرد إبداع أدبي، بل هو تعبير فلسفي وجودي يعكس تمرد الإنسان في مواجهة التحديات الاجتماعية والوجودية. وقد كشف بلاشير عن رؤيته النقدية لشعر المتنبي من خلال:

1. **التركيز على الارتباط الروحي والفكري:**

قدم بلاشير قراءة مبتكرة تكشف عن العلاقة العميقة بين الشاعر وذاته في تفسيره لديوان المتنبي، فقد اعتبر أن شعره يتجاوز كونه مجرد تعبير عن أفكار ومشاعر، بل نافذة لعوالم خاصة بالطيب المتنبي، تفهم من خلالها شخصيته المعقدة وفكره المتمرد. ووفقًا لبلاشير، يعد الشاعر العربي "المتنبي "ليس مجرد شاعر يمجد الحكام أو يناقش القضايا الاجتماعية، بل هو شاعر **فردي** يحمل فلسفة شخصية عميقة تنعكس في قصائده. هذه القصائد، التي تصف معاناة شخصية وعصره المضطرب، كما تُظهر التمرد الفكري الذي مارسه المتنبي في حياته. من خلال شعره، الدال على الاستقلالية والتطلع المستمر نحو الحرية الفكرية.

2. **الفهم السيكولوجي لشعر المتنبي:**

لا يقتصر "بلاشير " في تحليله على الأبعاد البلاغية والتقنية في شعر المتنبي، بل يتعدى ذلك إلى التحليل النفسي العميق. فبلاشير يعكف على تحليل الفردية التي تظهر

بوضوح في شعر المتنبي، واعتبر أن هناك تمردًا داخليًا يعبر عن البحث المستمر عن الكمال الروحي والفكري .وفي هذا السياق، يرى بلاشير أن شعر المتنبي يعكس صراعًا نفسيًا، حيث يسعى الشاعر إلى تجاوز الواقع والصلح مع ذاته المتناقضة. هذا التوتر بين الذات والواقع يتجلى في شعره كمزيج بين الشخصي **والكوني**، مما يجعل المتنبيرمزًا للتمرد على المعايير الاجتماعية والفكرية السائدة.

3. **الربط بين المتنبي والفكر الفلسفي:**

يذهب بلاشير إلى أن شعر المتنبي يتجاوز الأدب التقليدي ليجمع بين الفلسفة والشعر. فقد تناول في قصائد المتنبي أفكارًا فلسفية تعكس الصراع الوجودي بين الفرد والمجتمع، وبين الحياة والموت. هذا البعد الفلسفي في شعر المتنبي يضعه في موقع يشبه التصورات الفلسفية الغربية حول الوجود والهوية. بلاشير اعتبر أن المتنبي لم يكن مجرد شاعر في السياق العربي، بل كان يحمل مفاهيم فلسفية عالمية تعكس روح العصر. على هذا النحو، يمكن اعتبار شعر المتنبي تعبيرًا عن أزمة **الإنسان** في مواجهة تحديات الحياة، بعيدًا عن الحدود الثقافية أو الجغرافية.

4. **دور المتنبي في الأدب العربي والعالمي:**

وفقًا لبلاشير، لا يمكن حصر شعر المتنبي في نطاق الأدب العربي فقط، بل هو شاعر عالمي يعبر عن الإنسانية جمعاء من خلال صراعاته الفكرية والنفسية .أظهر بلاشير أن شعر المتنبي ليس مقتصرًا على الثقافة العربية بل هو تعبير عالمي عن الأفكار الإنسانية الأساسية مثل الحرية، والصراع الداخلي، **والتمرد** على الواقع الاجتماعي والسياسي . وبالتالي، يعتبر بلاشير أن شعر المتنبي يشكل إرثًا إنسانيًا مشتركًا يمكن أن يُدرَس ضمن الأدب العالمي بامتياز.

من خلال تحليله لشعر المتنبي، قدّم بلاشير قراءة عميقة تكشف عن العلاقة الروحية والفكرية بين الشاعر وذاته. كما أظهر تحليله السيكولوجي بُعدًا جديدًا لفهم الصراعات الداخلية التي عاشها المتنبي. وفقًا لبلاشير، شعر المتنبي لا يقتصر على **الإبداع الأدبي**، بل هو تعبير فلسفي وجودي عن **تمرد الإنسان** في مواجهة التحديات الاجتماعية والوجودي[21].

تقلد "ريجي بلاشير" منصب أستاذ للغة العربية بالمدرسة الوطنية للغات الشرقية حتى سنة 1950، ثم انتقل للتدريس بجامعة السربون إلى غاية تقاعده سنة 1970، ، توفي "ريجي بلاشير" في شهر أغسطس/أوت سنة ألف وتسعمائة وإثنين وسبعين1972تاركا عددا هاما من الكتب والبحوث والمقالات أشهرها:

- تاريخ الأدب العربي منذ البداية حتى نهاية القرن الخامس عشر.

- ترجمة القرآن الكريم إلى الفرنسية عبر إصدارين:

* الأول شمل مقدمة مطولة حول القرآن الكريم وتفسير مجمل له وقد رتبه ريجي وفق ترتيب نزول السور، ليعيد مراجعة العمل ويصدر ترجمة جديدة منقحة واسعة الانتشار، تراعي الترتيب الأصلي الوارد في المصحف الشريف، حيث ظهر هذا الإصدار ء الجزء الأول سنة 1949والجزء الثاني1950وقد ناهز 1239 صفحة.[22]

- ترك" ريجي بلاشير " أيضا مؤلفا حول أبحاث المستشرقين لخص فيها أعمالهم التي تطرقت إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم بعنوان le problème de Mohamed– مشكلة محمد أو معضلة محمد.

يعرف عن بلاشير اهتمامه بالأدب العربي القديم بشكل عام والشعر العربي بشكل خاص، وبشكل أخص اشتهر بدراسته لشعر أبي الطيب المتنبي؛ فكتب حوله دراسة بعنوان "المتنبي الشاعر العربي الإسلامي مجلة الدراسات الإسلامية 1929، شاعر عربي من القرن الرابع الهجري المتنبي؛ تناول فيه حياة الشاعر ونقاده بالتحقيق والتعليق والنقد، باريس 1935، نقله إلى العربية أحمد بدوي، ثم دراسة عن المتنبي أدرجت في دائرة المعارف الإسلامية، وغيرها كثير.

كما كانتّ لـ"بلاشير "أيضا اهتمامات بمختلف أشعار العرب القديمة عبر عنها بمؤلفيه؛ مجمل شاعرية العرب مجلد الدراسة العلمية 1938، وأهم مواضيع شعر الغزل على عهد الأموين بدمشق، نشر بحوليات معهد الدراسات الاستشراقية سنة 1939[23].

خاتمة:

في ختام هذه المقاربة نورد أهم النتائج المتحصل عليها؛ وهي كالآتي:

- خصصت الكنيسة الكاثوليكية جهود باحثيها عبر أجندة تقوم على محاربة الإسلام والبحث عن نقاط الضعف فيه وإبرازها، والزعم أنه دين مأخوذ من المسيحية واليهودية.

- الانتقاص من قيمة الأخر الشرقي والحط من قيمته، وتحذير المسيحيين من خطر الإعجاب بهذا المختلف.

- بلورة فكرة النهضة العلمية عبر الانفتاح على كل المعارف الشرقية لا سيما التقنية والطبيعية منها؛ والإفادة منها وهو غرض علمي يستهدف تطوير الغرب بشكل عام.

-تطويع معارف علوم الاجتماع، وعلوم النفس، والتاريخ، والأنتربولوجيا؛ لفهم الآخرين ومن ثمة السيطرة عليهم فكريا وعسكريا.

- إثراء المكتبة العربية بمؤلفات ودراسات خاصة بالتراث والعلوم.

أما على مستوى المثال الأدبي- جهود بلاشير النقدية -موضوع الدراسة فقد توصلنا إلى النقاط الآتية:

- اهتم بلاشير بتحليل الأبعاد السيكولوجية لشعر المتنبي، حيث لم يقتصر النقد على الأبعاد البلاغية والفنية بل تجاوزها إلى الجوانب النفسية العميقة.

- ركزبلاشير على الفردية التي تظهر في شعر المتنبي، وهي حالة من التمرد على الواقع والبحث المستمر عن الكمال الروحي والفكري، وتساءل عن سر الانطوائية والصراع **الداخلي** الذي كان يعيشه المتنبي.

- شعر المتنبي بالنسبة لبلاشير كان مزيجًا بين الشخصي والكوني، مع التأكيد على تمرد المتنبي ضد المعايير الاجتماعية.

- يربلاشير في شعر المتنبي امتزاجًا بين الفلسفة والشعر، إذ استكشف في قصائد المتنبي أفكارًا فلسفية ومفاهيم تجسد الصراع بين الفرد والمجتمع، وبين الوجود والعدم

- يعامل بلاشير شعر المتنبي باعتباره نتاجًا لفكر متجاوز للأدب التقليدي .

–بحسب بلاشير، أفكار المتنبي، تتجاوز مجرد التعبير الأدبي لتقترب من الفلسفة، مما يجعله قريبًا من التصورات الفلسفية الغربية في بعض جوانبها.

5. مراجع البحث وإحالاته:

[1]- مؤتة قرية من أرض الشام جنوب الأردن، على مقربة من الكرك، إذ بعث النبي صلى الله عليه وسلم جيش المسلمين إلى مؤتة لمواجهة الروم..فتهيأ المسلمون للخروج حينئذ وهم ثلاثة آلاف، ثم مضى المسلمون حتى نزلوا أرض معان من أرض الشام، حيث النفوذ والسلطان للرومان وملكهم العظيم هرقل.

- أمير عبد العزيز: الوجيز في تاريخ الإسلام والمسلمين، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2003، ص 189.

[2]- حنا الفاخوري وآخرون: تاريخ الفكر المسيحي عند أدباء الكنيسة، المكتبة البوليسية، بيروت، ط1، 2001، ص 676.

[3]- بطرس المبجل 1092-1156 رئيس دير كلوني Cluny الدير الرئيسي للمسيحية الغربية بايطاليا، من أوائل من اعتنى بنقل الآثار العربية إلى اللاتينية عندما زار الأندلس، وعند عودته قام بترجمة بعض مؤلفاتهم.

- لويس شيخو: تاريخ الآداب العربية، دار المشرق، بيروت، ط3، 1991، ص 11.

[4]- سامي سالم الحاج: : نقد الخطاب الاستشراقي، ج1، دار المنار الإسلامي، بيروت، ط، 1، 2002. ص44.

[5]- حنا الفاخوري: الموجز في الأدب العربي وتاريخه، دار الجيل، بيروت، ج4، رقم3، ط3، 2003،

[6]- نفسه، الصفحة نفسها.

[7]- محمد فاروق الزين: المسيحية والإسلام والاستشراق، دار الفكر، دمشق، ط1، 2001ص243.

[8]- نجيب العقيقي: حركة الاستشراق، دار المعارف، القاهرة، 1964 ص 41.

[9]- حنا الفاخوري: الموجز في الأدب العربي وتاريخه، دار الجيل، بيروت، ج4، رقم3، ط3، 2003، ص13.

[10]- نفسه، ص14.

[11]- نفسه، ص15.

[12]- أحمد سمايلوفيتش: فلسفة الاستشراق، مرجع، دائرة المعارف النظامية، الهتد، 1974، ص81.

[13]- فؤاد كاظم المقدادي: «المدرسة الاستشراقية الفرنسية»، مجلة رسالة التلقين، العدد 5، العراق، ص ص176-177.

[14]- فؤاد كاظم البغدادي: المدرسة الاستشراقية الفرنسية، مرجع سابق، ص180.

[15]- الطيب بن إبراهيم: الاستشراق الفرنسي وتهدد مهامه خاصة في الجزائر، دار المنابع، ط2004، ، ص ص 25-26.

[16]- فؤاد كاظم البغدادي: المدرسة الاستشراقية الفرنسية، مرجع سابق، ص 180.

[17]- نفسه، ص 139.

[18]- المرجع نفسه، ص 140.

[19]-نفسه، ص ص 141.140

[20]-محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، دار العودة، بيروت، 1983، ص220.

[21]Blaise, G. (1965).Le Poète et le philosophe: La critique littéraire chez le poète arabe Al-Mutanabbi. Paris: Presses Universitaires de France

[22]- عبد الرحمان بدوي: موقف المستشرقين من صحة الشعر الجاهلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط، 1971، ص 323.

[23]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.